مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) التكاملي للتعايش الإنساني بين معتنقي الأديان والمذاهب

أ.م.د. وليد عبد الحميد خلف
جامعة الكوفة / كلية الفقه
Waleeda.khalaf@uokufa.edu.iq

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٠/٦/٢٨/١٢٥
تاريخ القبــول : ٢٠٢٠/٧/٢٨/١٤٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص :

قبل (١٤٠٠ سنة) وضع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مشروعا تكامليا للتعايش الإنساني بين معتنقي وأتباع الأديان، والمذاهب جميعا، وبما يلبي متطلبات الإنسان في كل زمان ومكان، ولاسيما في زماننا هذا ، وهو مشروع توحيدي شمولي تبناه نظريا فنظّره ، وعمليا فطبقه شخصيا رغم الصعوبات وقساوة الظروف المحيطة به في واقع الحياة ، وهو مشروع إصلاحي يحقق الأمن والأمان للجميع ، وضمان حقوقهم جميع الناس فيرسخ تعايشهم حضاريا وتآخيهم إنسانيا ، وفق مبدأين إسلاميين أصيلين ، هما (مبدأ وحدة النوع الإنساني ، ومبدأ الكرامة الإنسانية) ، ويلزم منهما مبدأ إسلامي إنساني شمولي ، وهو مبدأ (العدالة الاجتماعية الكاملة التامة) لجميع الناس .

ويقوم هذا المشروع على الحوار الإيجابي ، والتثقيف بضرورة الاعتراف بوجود الآخر المختلف دينيا وعرقيا وثقافيا واجتماعيا ، واللطف بالغير والتسامح معه وضمان حرياته وحقوقه ، والتلاقح العلمي بين تراث الأمم والشعوب المختلفة ، والإفادة من المنتج المعرفي للآخر المختلف دينيا ومذهبيا وعرقيا وفق الضوابط الموضوعية والمنهج العلمي ، وتجريم وتحريم خطاب الكراهية والعنف والتعصب .

إن في دراسة وفهم وتحليل هذا المشروع، وفي تطبيقه وتنفيذ برامجه عمليا الخلاص من المآسي التي تعانيها اليوم البشرية عموما ويعانيها المسلمون والعرب خصوصا.

الكلمات المفتاحية : الإمام أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، التعايش الإنساني ، التعددية الدينية والمذهبية ، السلم الأهلي ، الأمن المجتمعي .

AL-Imam, 'amir almuminin (peace be upon him) Integrative project Human Coexistence between the Followers of Religions and Sects

Asst. Prof. Dr. Waleed Abdel Hameed Khalaf Faraj Allah Al-Asadi

College of Fiqh / University of Kufa

Waleeda.khalaf@uokufa.edu.iq

Abstract

(1400 years ago) Imam, the Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib (peace be upon him) developed an integrative project for human coexistence between adherents and followers of all religions and sects, and in a manner that meets the requirements of man in every time and place, especially in our time, and it is a comprehensive monotheistic project that he theoretically adopted and considered. In practice, he applied it personally despite the difficulties and the harsh conditions surrounding him in the reality of life, which is a reform project that achieves security and safety for all, and ensuring their rights for all people, entrenching their civilizational coexistence and human fraternity, according to two original Islamic principles, namely (the principle of the unity of human kind, and the principle of human dignity), and it is required of them A holistic, humanist Islamic principle, which is the principle of (complete and complete social justice) for all people.

This project is based on positive dialogue, education on the necessity of recognizing the existence of the other religiously, ethnically, culturally and socially different, kindness in others and tolerance with it and guaranteeing their freedoms and rights, scientific cross-fertilization between the heritage of different nations and peoples, and making use of the knowledge product of the other religiously, ideologically and racially different according to objective controls and the scientific method, criminalizing Prohibition of hate speech, violence and intolerance.

In studying, understanding and analyzing this project, and in implementing and implementing its programs, it is practically rid of the tragedies that humankind today suffers from in general and Muslims and Arabs in particular.

Key words: Imam, Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib, human coexistence, religious and sectarian pluralism, civil peace, and community security.

المبحث الأول : أصول ومبادئ مشروع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للتعايش الإنساني بين معتنقي الأديان والمذاهب

من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وضع أعلم الناس بهما الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قبل أربعة عشر قرنا من الزمان معالم التنظير لضرورة التعايش الإنساني مع الآخر (المختلف دينيا ومذهبيا من معتنقي الأديان والمذاهب المختلفة) سواء كان الآخر فردا أم مجتمعا أم دولا ، أقلية أم أكثرية ، حتى يمكننا اعتبار ذلك مشروعا رياديا من مشاريعه الإنسانية التي نذر نفسه لها ، والتي كانت بمجموعها منهج الإصلاح الذي سعى إلى تطبيقه باعتباره المعلم الحضاري للإسلام الأصيل ، وبما يحقق الأمن والأمان للجميع مع ضمان حقوقهم جميعا فيرسخ تعايشهم حضاريا وتآخيهم إنسانيا .

إن مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) هذا مشروع توحيدي تكاملي شمولي تبناه نظريا وعمليا في أي موقع كان ، سواء على رأس هرم الخلافة أم استشاريا لها أم معارضا ، وهو ما عبر عنه بقوله : " اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلاَ إِلتمَاسَ شِيءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ، وَلكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٢ / ١٣) (Nahj albalagha, n.d., 2/13) ، فعلى الجميع اليوم التأسي بالإمام علي (ع) كل من موقعه

ولما كانت السلطة في فلسفة الإمام علي بن أبي طالب (ع) أداة من أدوات الإصلاح الاجتماعي وبخلافه لا قيمة لها ، فإن توليها إنما يكون من بين أمور أخرى لإقامة الحق (ومنه تحقيق العدالة الاجتماعية والتعايش الإنساني للناس جميعا مهما تعددت أديانهم واختلفت مذاهبهم) ، ودفع الباطل (ومنه : مكافحة الظلم بجميع صوره بما فيها ظلم الآخر المختلف دينيا ومذهبيا ، ورفع التجاوز على حقوق الناس كل الناس ، والتصدي لإشاعة الكراهية بينهم قولا أو فعلا أو سلوكا) ، يقول ابن عباس (رض) : " دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي : ما قيمة هذه النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها ، فقال (ع) : والله لَهِيَ أَحَبُّ إِليَّ من إمرتكم ، إلاّ أَن أُقيم حقّاً ، أَو أَدفع باطلاً " (نهج البلاغة ، ب ت ، ١ / ٨٠) (Nahj albalagha, n.d., 1/80) .

لقد سعى أمير المؤمنين(ع) بجهاده وجهده لتحقيق مشروع التعايش الإنساني الذي يضمن الاعتراف بوجود الآخر والعيش معه على وفق مبدأين إسلاميين أصيلين :

الأول : مبدأ " وحدة النوع الإنساني " : وهو مبدأ إلهي أصله القرآن الكريم ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (سورة النساء / ١) (Sura AnNisa'/1) ، وبيّنت السنة النبوية الشريفة هذا المبدأ تبيانا نظريا وتطبيقيا قولا وفعلا وتقريرا ، من ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " النّاسُ كلهم بَنُو آدَمَ ، وَآدَمُ خُلق مِنْ تُرَابٍ " (الترمذي ،

١٩٦٦ ، ٦/٢٢٤) (Al–Tirmidhi, 1966, 6/224) و" كلكم لآدم ، وآدم من تراب " (المجلسي ، ١٩٨٣ ، ٧٣ / ٣٥٠) (Al Majlisi, 1983, 73/350)

، فكان هذا المبدأ ركيزة أساس في مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) فتبناه في خطبه وأقواله الشريفة وسيرته العطرة منهجا عمليا ، ويلزم من هذا المبدأ من بين أمور أخرى إقرار حق المساواة بين جميع الناس مع الاحتفاظ بتعدد ياتهم على أساس " الإنسانية " ، وهو ما سماه أمير المؤمنين (ع) بقوله : " بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ " (عهد الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر ، ٢٠١٠ ، ص٣٠) (Covenant of al'imam Ali to malik al'ashtur, 2010, p.30) ، وشخص الإمام أن العصبية والغرور والاستكبار موانع من تحقيق ذلك ، فبين للجميع أن العصبية والغرور شر بقوله (ع) : " شر الناس من يرى أنه خيرهم " (الواسطي ، ١٣٧٦ هـ ، ص٢٩٣) (Al–Wasiti, 1376 AH, p. 293) ، وحذر من أن الاستكبار مرض عضال يفتك بالإنسانية ويودي بالأمن والاستقرار ، فأطلق صيحته المدوية مخاطبا الناس في خطاب تاريخي بقوله (ع) : (فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ ، وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحَتْ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ... فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَآنِ ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ) (نهج البلاغة ، ب ت ، ٢ / ١٤١) (Nahj albalagha, n.d., 2/141) .

الثاني : مبدأ " الكرامة الإنسانية " : وهو مبدأ إلهي سام مرجعه أصل خلقة الإنسان ، وفحواه أن الله عز وجل قد كرّم الإنسان حين خلقه ، قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (سورة الإسراء / ٧٠) (Sura AlIsra'/70) .

وعمل الإمام أمير المؤمنين (ع) على ترسيخ هذا المبدأ في نفوس الناس وتربيتهم عليه بمستلزماته جميعها ، ومنها الشعور بالانتماء إلى أصل واحد وما يتفرع عليه كضمان المساواة في الحقوق الأساس ، والقبول بالتنوع الديني والثقافي والعرقي ، واحترام خصوصيات الجميع ، مما يتحقق معه السلام والوئام والمحبة والتآخي والرفاه والازدهار ، بتعاون الجميع لإثراء الحضارة الإنسانية وتقدمها تحقيقا لسعادة المجتمع البشري .

وترتب على هذين المبدأين مبدأ إنساني شمولي ألا وهو " العدالة الاجتماعية الكاملة التامة " لجميع بني البشر (أفراد ، وشعوب ، وأمم ، ومجتمعات) ، فكانت العدالة الاجتماعية الركن الأساس في سيرة الإمام أمير المؤمنين (ع) العطرة ، وفي منهجه التنظيري وسلوكه العملي ، يظهرها للجميع شعوره الإنساني الراسخ في أعماقه ، وكان توظيف ذلك إيجابيا في سلوكه مع الآخر من مقومات مشروعه للتعايش الإنساني بين جميع الناس مهما تعددت أديانهم واختلفت ثقافاتهم وتباينت مواقفهم وتناقضت آراؤهم ، وكان (ع) يعلنها صراحة في كل مناسبة وموقف استعداده للتضحية من أجل مبادئه بكل ما يملك ، ومن أقواله الخالدة في ذلك بقوله : " وَاللهِ لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً ، أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلاَلِ مُصَفَّداً ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٢ / ٢١٦) (Nahj albalagha, n.d., 2/216) ، وقد بلغ في مشروعه هذا أروع وأعلى درجات النبل الإنساني التي يمكن أن

تخطر ببال أحد عندما أقسم بأن الظلم اليسير لأصغر حيوان لا تعادله كنوز الدنيا بأجمعها عندما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) مقولته المشهورة : " وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا ، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَة أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَة مَا فَعَلْتُهُ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٢ / ٢١٨) (Nahj albalagha, n.d., 2/218).

والمؤكد أن الإمام أمير المؤمنين (ع) رغم الصعاب والمحن وقساوة الظروف المحيطة به قد تمكن من النهوض بمشروعه الحضاري هذا ببعديه التنظيري والتطبيقي بكل ما أوتي من حول وقوة .

المبحث الثاني : البعد التنظيري في مشروع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للتعايش الإنساني بين معتنقي الأديان والمذاهب

يتجلى البعد التنظيري في هذا المشروع بوضع الإمام أمير المؤمنين (ع) منهجا علميا بيّنا واضحا للتعايش الإنساني بين جميع الناس من معتنقي الأديان المتعددة والمذاهب المختلفة ، والمنحدرين من أعراق متباعدة ، وهذا المنهج في حقيقته نظرية تكاملية شمولية واقعية ، يمكننا إيجاز معالمها بما يأتي :

١ ــ تثقيف الإمام أمير المؤمنين (ع) الناس بضرورة الاعتراف بوجود الآخر المختلف دينيا وعرقيا وثقافيا واجتماعيا باعتبار أن الاختلاف حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها ولا يصح القفز فوقها ولا تجوز مصادرتها ، من ذلك قوله : " ارض للناس بما ترضاه لنفسك تكن مسلما " (الواسطي ، ١٣٧٦ هـ ، ص٧٥) (Al-Wasiti, 1376 AH, p. 75) ، ويوصي ابنه الإمام الحسن (عليهما السلام) ، ومن خلاله يوصي الناس جميعا بقوله : " يَا بُنَيَّ ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا ، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٣ / ٤٥) (Nahj albalagha, n.d., 3/45)، ويوجه أفراد الأمة جميعا من خلال وصيته لابنه (عليهما السلام): " يا بني أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وبالعدل على الصديق والعدو " (ابن شعبة ، ١٤٠٤هـ ، ص٨٨) (Ibn Shuba, 1404 AH, p. 88) .

إن التثقيف بأقوال الإمام (ع) هذه ووصاياه يحتم الالتزام بضوابط تنظيم الاختلاف بين الجميع ، لأن الاختلاف في مشروعه (ع) سنة كونية يجب التعامل معها تعاملا حضاريا مسؤولا ، وصولا إلى تحقيق التكامل بين المختلفين ، وبذلك فقد بين الإمام أمير المؤمنين (ع) نظريته في تصحيح النظرة إلى الذات أولا ، وإلى الآخر ثانيا .

علما أن الإمام (ع) قد بيّن أن هذه الثقافة إضافة إلى كونها متأصلة في الوحي الإلهي فإنها ثقافة فطرية يؤيدها العقل والمنطق ، ويشهد بها تراكم التراث الإنساني المعرفي ، يقول الإمام أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن (عليهما السلام) : " أَيْ بُنَيَّ ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي ، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ ،

وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْر نَخِيلَتَــهُ ، تَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٣ / ٤١) (Nahj albalagha, n.d., 3/41).

بل وأن الإمام أمير المؤمنين (ع) في مشروعه هذا يدعو إلى التلاقح العلمي بين تراث الأمم والشعوب المختلفة ، والإفادة من المنتج المعرفي للآخر المختلف دينيا ومذهبيا وعرقيا وفق الضوابط الموضوعية والمنهج العلمي ، بعد التأمل والتمحيص والنقد والتدقيق وبما لا يتعارض مع ثوابت وهدي الوحي الإلهي (القرآن الكريم والسنة الشريفة) ، فيرشد (عليه السلام) الإنسان الواعي إلى المنهج الصحيح لبلوغ الحقيقة العلمية والمعرفية بقوله : " لا تنظر إلى من قال ، وانظر إلى ما قال " (المتقي الهندي ، ١٩٨٥ ، ١٦ / ١٩٧) (Almutaqi alhindiu , 1985 , 16 / 197) ، ويؤكد (ع) أن منابع المعرفة مختلفة جغرافيا وعرقيا وفكريا ، وأن الإفادة من صحيحها ضرورة علمية ومسؤولية شرعية وفريضة دينية وحتمية حضارية ، حيث يقول : " خذ الحكمة أنى كانت ، فإن الحكمة ضالة كل مؤمن " ، ويقول أيضا : " ضالة الحكيم الحكمة فهو أحق بها حيث كانت " (الواسطي ، ١٣٧٦ هــ ، ص٢٤٣ ، ٢٩٣) (Al-Wasiti, 1376 AH, p.243, 293) ، ويرفض الإمام أمير المؤمنين (ع) الإنغلاق الفكري والتقوقع والجمود على الواقع ، والإعراض عن المنجز الحضاري الإيجابي بحجة الاختلاف العقدي والتباين الديني بقوله : " الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها " (المجلسي ، ١٩٨٣ ، ٥٧ / ٣٤) (Al Majlisi, 1983, 57/34)

وبهذا يتبين لنا أن رؤية الإمام (ع) لنتاج الأمم والشعوب المعرفي رؤية شمولية واعية ، قائمة على الإفادة من صحيحه ، ونقد سقيمه ، وتوظيف ذلك إيجابيا في تكاملية الحضارة الإنسانية ، ومساهمة الجميع في تشييد أسسها تشييدا علميا موضوعيا ، يقول (ع) : " من كشف مقالات الحكماء انتفع بحقائقها " (الواسطي ، ١٣٧٦ هــ ، ص٤٣٨) (Al-Wasiti, 1376 AH, p. 438)

ومن جهة أخرى فقد وجه الإمام أمير المؤمنين (ع) بضرورة مواكبة الفكر المعاصر في كل زمان مواكبة موضوعية ، وتحديث المعارف سواء كانت من نتاج المسلم أم من نتاج غيره تحديثا علميا ، مع إخضاعها لثوابت الوحي الإلهي (القرآن الكريم ، والسنة الشريفة) ولمناهج البحث العلمي ومعايير النقد الموضوعي ، يقول (ع) : " حسب المرء .. من عرفانه علمه بزمانه " (المجلسي ، ١٩٨٣ ، ٧٥ / ٨٠) (Al Majlisi, 1983, 75/80) .

٢ ــ تأصيل الإمام أمير المؤمنين (ع) للقاعدة الذهبية في التعايش الإنساني بين جميع الناس من معتنقي الأديان والمذاهب ومن جميع الأمم والشعوب بقوله عن الناس : " فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْق " (عهد الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر ، ٢٠١٠ ، ص١٥) (Covenant of al'imam Ali to malik al'ashtur, 2010, p.15) ، استنادا إلى الأصول والمبادئ التي أسس عليها مشروعه الحضاري هذا

(والمذكورة في المبحث الأول) ، والتي يفهم منها جميعا أن التعددية سنة الله في خلقه ، ولذا كان من ركائز مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) التنظير الصحيح للتعامل بين مكونات التعددية تعاملا موضوعيا إنسانيا ، حتى أنه (ع) رائد النظرية الايجابية في التعددية ، ومن روائع ما أثر عنه :

الـــناسُ مِن جِهَةِ التِمثالِ اَكـــفـــاءُ أَبـــــوهُـــمُ آدَمُ وَالأُمُ حَـــــــوّاءُ

فَإِن يَكـــُن لَهُمُ مِن أَصلِهِم شَرَفٌ يُـــفاخِرونَ بِـــهِ فَالطينُ وَالمـــاءُ

(ديوان الإمام علي (ع) ، ١٩٩٩ ، ص٥) (Diwan al'imam Ali, 1999, p. 5) ، وتفرع على تلك القاعدة الذهبية أمور منها : المساواة بين جميع الناس من معتنقي الأديان والمذاهب ومن جميع الأمم والشعوب بغض النظر عن أي انتماء أو وصف آخر في الحقوق الإنسانية ، والحياة والأمن والأمان ، وتلبية الحاجات الضرورية ، والعمل والرفاه ، ونحوها للإنسان معلنا ذلك بقوله (ع) : " أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٣ / ١٣٢) (Nahj albalagha, n.d., 3/123) ، ويوصي (ع) واليه مالك الأشتر (رض) بقوله : " وَإِيَّاكَ وَالاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ " (عهد الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر ، ٢٠١٠ ، ص٣٠) (Covenant of al'imam Ali to malik al'ashtur, 2010, p.30).

ومع أن الإمام أمير المؤمنين (ع) من أكرم الأصول فهو سليل النبيين (عليهم السلام) وأخو سيد الأولين والآخرين رسول الله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إلا أنه كان يرفض رفضا مبدئيا قاطعا التفريق بين الناس وتقسيمهم على أساس العرق والطبقة الاجتماعية في أي مورد كان ، وكان معيار التفاضل عنده العمل الصالح ، يقول (عليه السلام) : " مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ " (المجلسي ، ١٩٨٣ ، ٦٨ / ١٨٩) (Al Majlisi, 1983, 68/189)

ويقول أيضا : " الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ١ / ٨٩) (Nahj albalagha, n.d., 1/89) ، وينتقد (ع) التمييز بين الناس على أساس الانتماء والعرق بأقوال كثيرة ، منها : " أطهر الناس أعراقا أحسنهم أخلاقا " (الريشهري ، ١٤٢٥ هـ ، ١٠ / ٢٠٦) (Al-Rishari, 1425 AH, 10/ 206) ، و " أفضل الناس انفعهم للناس " (الواسطي ، ١٣٧٦ هـ ، ص١١٨) (Al-Wasiti, 1376 AH, p.118) ، تصديقا منه (ع) وعملا بما رواه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " من كان في قلبه مثقال خردلة من عصبية جعله الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية " (النوري ، ١٩٨٨ ، ١٢ / ٢٦) (Al-Nuri, 1988, 12/26) .

٣ ــ اللطف بالآخر المختلف دينيا ومذهبيا وعرقيا ، ومن أمثلة ذلك أنه لما استنكف بعض أهل الكتاب من أهل الشام اسم " الجزية " طالبين تغيير اسمها شرطا لدفعها أقنع الإمام (عليه السلام) الخليفة الثاني بذلك ، فاثر ذلك فيهم إيجابيا (ينظر : الطبري ، ب. ت ، ٤ / ٥٦) (Al-Tabari, n.d, 4/56).

٤ ــ في مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) أن تمتع الناس جميعا بحقوقهم كاملة غير منقوصة هبة إلهية مقدسة ، فلا يجوز لأحد كائنا من يكون مخالفتها إطلاقا ، بل لا بد من تطبيقها على أساس مبادئ الوحي الإلهي السامية ، بما فيها مبدأ " الإحسان إلى الغير " الذي هو من أدوات القسط الذي أمر الله تعالى به ، ومن لوازمه المساواة بين الناس ، فلما اعترضت امرأة من العرب على مساواتها في العطاء مع أخرى من العجم أجابها الإمام (ع) قائلا : " والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق " (الثقفي ، ١٣٩٥ هـ ، ٧٠/١) . (Al-Thaqafi, 1395 AH, 1/70)

٥ ــ توجيه الإمام أمير المؤمنين (ع) الأمة جميعا بقوله وفعله على أن الحوار الإيجابي آلية التفاهم مع الآخر المختلف دينيا ومذهبيا وفكريا ، مبينا وسائل ترسيخ لغة الحوار مع الإقرار بوجود مشترك إنساني في مجالات الحوار يكون أساسا لانطلاق التحاور وفق المنهج الموضوعي الذي لا بد من الالتزام به في الحوار ، وقد حث (ع) الناس جميعا على النقاش في جميع المسائل والقضايا ، والسؤال عن جميع ما يدور في أذهانهم حتى كان (ع) الوحيد في تاريخ البشرية صاحب المقولة العظيمة التي كان يرددها على مسامع الجميع : " أَيُّهَا النَّاسُ : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٢ / ١٣٠) (Nahj albalagha, n.d., 2/130) .

٦ ــ ضمان الحرية الفكرية وحرية الرأي والتعبير لجميع الناس سواء كانوا من أتباع الأديان والمذاهب المختلفة ، أم من أبناء الأمم والأعراق المتعددة ، أم من معتنقي الأفكار والفلسفات المتباينة ، بل حتى لأعدائه ومحاربيه ومكفريه ، دون قمع أو تضييق أو فرض رؤى وقناعات ، الأمر الذي شجع على التأمل والتدبر ، والحوار والنقاش ، والنقد والتمحيص ، والتدقيق والتحليل في جميع مسائل الدين عقيدة وشريعة ونظما وسلوكا ، وفي قضايا الفكر المتشعبة خصوصا في إشكاليات الوجود والكون والإنسان والحياة والمبدأ والمعاد ، وفي كتب الحديث والسيرة والتاريخ ومصادر تراث المسلمين ومراجعه عشرات الشواهد عنه (ع) في ذلك .

ولا ريب أن الإمام أمير المؤمنين (ع) كان في خطبه وأقواله ، متكلما عظيما ، وواعظا بليغا ، ومحاورا ومناقشا ، ومعلما وهاديا ، ومفسرا ومبينا ، وفاروقا بين الحق والباطل ، وداعيا إلى الحق والهدى ، وقد أجاب عن جميع ما سئل عنه بفيض علم غزير ، بل وكان يبدأ هو (عليه السلام) بفيوضات العلم والمعرفة وإن لم يسأله سائل ولم يحاوره محاور ، وكتب التفسير والحديث والفقه والسيرة والتاريخ مليئة بالشواهد الكثيرة على ذلك .

٧ ــ من مرتكزات مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) ممارسة النقد العلمي الموضوعي ومراجعة قناعات الذات ، ووجوب النظر والاستدلال ، في قضايا العقيدة والدين والفكر ، ومسائل المعرفة ، وقضايا الثقافة ، وقبول النقد العلمي من الآخر المختلف بحرية تامة ، ومن أمثلة ذلك ما روي من أن رجلا ينكر المعاد يوم القيامة جاء يتحدى المسلمين " وبيده جمجمة إنسان ميت فقال : أنكم تزعمون أن النار تعرض على هذا وانه يعذب في القبر وقد وضعت عليها يدي فلم أحس منها حرارة ... فقال الإمام أمير المؤمنين (ع) : ائتوني بزند وحجر ، والرجل السائل والناس ينظرون إليه ، فآتى بهما فأخذهما وقدح منهما النار ، ثم قال للرجل ضع يدك على الحجر

فوضعها عليه ، ثم قال (ع) ضع يدك على الزند فوضعها عليه ، فقال (ع) : هل أحسست منهما حرارة النار؟ فبهت الرجل " (العاصمي ، ١٤١٨ هـ ، ١ / ٣١٨) (Al-Asimi, 1418 AH, 1/318) ، لأنه رأى النار ولم يحس بالحرارة ، وحاور الإمام (ع) رجلا يشكك في القرآن الكريم محاورة علمية نقدية موضوعية بإنصاف وأسلوب بليغ ، بعد أن منحه الإمام الحرية التامة للتعبير عن رأيه وسرد أدلته جميعا ، قال (ع) للمشكك : " سأعلمك ما شككت فيه " (المجلسي ، ١٩٨٣ ، ٩ / ١٢٧) (Al Majlisi, 1983, 9/127) حتى أقنعه بالدليل اليقيني والبرهان القطعي .

وبيّن الإمام (ع) للخوارج الذين كفروه وقاتلوه بطلان استدلالهم الخاطئ بآيات القرآن الكريم بقوله : " فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوه " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٣ / ١٣٦) (Nahj albalagha, n.d., 3/136) ، موضحا ضوابط تفسير القرآن الكريم وقواعد فهم آياته ومنهج الاستدلال به معلنا : " وَإِنَّ القُرآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ ، وَلاَ تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ ، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِهِ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ١ / ٥٥) (Nahj albalagha, n.d., 1/55) .

٨ ــ في مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) :

أ ــ تحريم خطاب الكراهية لمنافاته مبادئ الدين الحنيف وتعديه ثوابت الوحي الإلهي وتناقضه مع القيم الخلقية التي أصلها القرآن الكريم والسنة الشريفة .

ب ــ تجريم خطاب الكراهية لما يترتب عليه من عواقب وخيمة على الإنسان (أفراد وجماعات) بما في ذلك : الجهل والتعصب ، والحقد والعداوة والبغضاء ، والتنكيل والاضطهاد وسفك الدماء ، مما يقضي على الأمن المجتمعي والسلم الأهلي .

ومن الشواهد على ذلك رؤية الإمام (ع) ، والتي عبر عنها في خطابه إلى الأمة جميعا : (اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ) (نهج البلاغة ، ب ت ، ٢ / ٨٠) (Nahj albalagha, n.d., 2/80) .

٩ ــ واجه الإمام (ع) التطرف بجميع صوره وأصنافه ومجالاته ، مبينا أنه ليس من الدين في شيء ، بل أنه من وساوس الشيطان ونتاج الجهل وعبادة الهوى ، فندد أمير المؤمنين (ع) بالمتطرفين الذين اتخذوا الدين ستارا لتطرفهم والدفاع عن العقيدة ذريعة لتعصبهم ، سواء كان تطرفهم ضد الآخر المختلف دينيا أم مذهبيا أم عرقيا ، ومن الشواهد على ذلك مواقفه تجاه الخوارج التي نقلها المؤرخون ، وأقواله التي رواها أعلام رواة الأمة ، وخطبه في نهج البلاغة .

١٠ ــ ضمّن الإمام أمير المؤمنين (ع) مشروعه منهجا موضوعيا للتخلص من العقد النفسية الضيقة التي تحول دون التعايش مع الآخر ، وتوعيته الناس بكيفية التدريب لمساعدتهم على التخلص من الآفات الاجتماعية ، وبما يحقق على الصعيد الفردي إصلاح الذات ، وعلى الصعيد المجتمعي التنمية البشرية المستدامة ، وبما يحقق بناء المجتمع البشري إيجابيا ولحمة نسيجه الاجتماعي ، وقوام ذلك بجعل العمل الصالح معيارا للفضيلة ، ومن

مقولات الإمام (ع) في ذلك : " فخر المرء بفضله لا بأصله " ، " وقدر الرجل على قدر همته ، وعمله على قدر نيته " وأن " الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية " ، (الآمدي ، ١٩٩٢ ، ص٣٨ ، ٢٧٥، ٢٨٣) (Al-Amedi, 1992, p. 38, 275, 283) ، بل أن " قِيمَةُ كُلِّ امرئ مَا يُحْسِنُهُ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٤ / ١٨ ، ١ / ١٥٩) (Nahj albalagha, n.d., 4/18, 1/159) ، و " عِبَادَ اللهِ ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ " .

المبحث الثالث : البعد التطبيقي في مشروع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للتعايش الإنساني بين معتنقي الأديان والمذاهب

يتجلى البعد التطبيقي في هذا المشروع بتنفيذ الإمام أمير المؤمنين (ع) منهج التعايش الإنساني بين جميع الناس من معتنقي الأديان المتعددة والمذاهب المختلفة ، والمنحدرين من أعراق متباعدة ، تنفيذا عمليا في واقع الحياة ، ويمكننا إيجاز ذلك بالإنجازات الآتية :

١ ــ القدوة الصالحة : إن أول من نفذ هذا المشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) شخصيا في كل موقف وواقعة ومناسبة وليكون قدوة لأتباعه وللناس أجمعين ، وقد أفاض على الآخر بغض النظر عن انتمائه ودينه ومذهبه وعرقه ولونه وثقافته ومواقفه ، بالحب والرحمة واللطف والعدل والإنصاف ، وكان شعاره (ع) : " وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْــمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ " (عهد الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر ، ٢٠١٠ ، ص١٥) (Covenant of al'imam Ali to malik al'ashtur, 2010, p.15)

ودون تمييز ، وحتى لو كان الآخر عدوه ، بل أفاض بذلك حتى على قاتله ، معبرا عن إنسانيته الرائدة رافضا الثأر رفضا قاطعا عندما قال وهو على فراش الاستشهاد : " يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً ، تَقُولُونَ : قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٣ / ٧٧) (Nahj albalagha, n.d., 3/77) ، بل وأوصى بقاتله (ابن ملجم) وصية في أعلى مراتب الإنسانية حين قال (ع) : " أطيبوا طعامه ، وألينوا فراشه ، فان أعش فعفو أو قصاص ، وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين " (إبن حبان ، ١٩٧٣ ، ٣٠١/٢) (Ibn Hibban, 1973, 2/301) ، وقال (ع) أيضا : " انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةَ ، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ : "إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بَالْكَلْبِ الْعَقُورِ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٣ / ٧٧) (Nahj albalagha, n.d., 3/77) .

ومن جهة أخرى فقد أوجد الإمام أمير المؤمنين (ع) حلولا عملية ناجعة لمعوقات التعايش الإنساني النفسية كالتعصب والغرور ، حينما وضع برنامجا عمليا تطبيقيا لتدريب تابعيه على التخلص من تلك المعوقات ، معلنا عنوان ذلك في مقولته الشهيرة : " أَيُّها النَّاسُ ، إِنِّي رَجُلٌ مِنْكُمْ ، لِي مَا لَكُمْ وعَلَيَّ مَا عَلَيْكُم " (السلمان ، ١٤٢٤ هــ ، ص٣٣) (AL Salman, 1424 AH, p. 33).

وبتأسي الناس بالإمام أمير المؤمنين (ع) في ذلك تتحقق انطلاقة مشروعه من ذات كل فرد منهم ، بتنمية المهارات الذاتية ، وليتم بعد التحلي بتلك الصفات الفاضلة تحويلها إلى ملكة راسخة في النفس ، وبذلك يتحقق التعايش الإنساني بين الجميع تلقائيا .

٢ ــ التثقيف بحتمية التعايش الإنساني : نشر الإمام أمير المؤمنين (ع) في مجتمعه وفي ذهنية الأمة بجميع أجيالها ثقافة حتمية التعايش الإنساني مع الآخر المختلف دينيا ومذهبيا من معتنقي الأديان والمذاهب المختلفة ، وسواء كان الآخر فردا أم مجتمعا أم دولا ، أقلية أم أكثرية ، باعتبار ذلك حاجة فطرية ومطلبا بشريا ، ليألف الناس جميعا أفرادا وجماعات تلك الحتمية بعد تشبعهم بتلك الثقافة في كل زمان ومكان ، ومن معالم هذه الثقافة :

أ ــ احترام الأديان السماوية مع شمولية علم الإمام (ع) بها ، حيث يقول : " لَوْ ثَنَى النَّاسُ لِي وِسَادَةً كَمَا ثُنِيَ لِابْنِ صُوحَانَ ، لَحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَاةِ بِالتَّوْرَاةِ حَتَّى يَظْهَرَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَحَكَمْت بَيْنَ أَهْلِ الزَّبُورِ بِالزَّبُور حَتَّى يَظْهَرَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِالْإِنْجِيلِ حَتَّى يَظْهَرَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَحَكَمْتُ مَا بَيْنَ أَهْلِ الْفُرْقَانِ بِالْفُرْقَانِ حَتَّى يَظْهَرَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " (الصفار ، ٢٠١٠ م ، ص١٦٦) (Al-Saffar, 2010, p. 166).

ب ــ التفسير الإيجابي لعقائد الآخرين المختلفين ، من ذلك تفسير الإمام أمير المؤمنين (ع) دقات ناقوس الأديرة والكنائس المسيحية تفسيرا دينيا توحيديا ساميا بأبعاده الحضارية ، ومضامين الحكمة والعبرة والموعظة ، يقول أحد أصحابه المقربين واسمه " الحارث " : بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في الحيرة إذا نحن بديراني يضرب بالناقوس ، قال : فقال علي بن أبي طالب (ع) : يا حارث أتدري ما يقول هذا الناقوس ؟ قلت : الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم ، قال (ع) : إنه يضرب الدنيا وخرابها ويقول : " لا إله إلا الله حقا حقا ، صدقا صدقا ، إن الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا ، يا ابن الدنيا مهلا مهلا ، يا ابن الدنيا دقا دقا ، يا ابن الدنيا جمعا جمعا ، تفنى الدنيا قرنا قرنا ، ما من يوم يمضى عنا إلا وهن منا ركنا ، قد ضيعنا دارا تبقى ، واستوطنا دارا تفنى لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قدمتنا " (الصدوق ، ٢٠١٤ ، ٦١/٢) (Al- Saduq, 2014, 2/61).

جـ ــ منح الآخر المختلف عقديا حرية الإيمان والمعتقد ، ومن الشواهد على ذلك أن محمد بن أبي بكر (رض) ــ واليه على مصر ــ كتب إليه يسأله عن زنادقة منهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد غير ذلك ، فأجابه الإمام (ع) بان يتركوا ويعبدون ما شاءوا" (ابن أبي شيبة ، ٢٠٠٨ ، ٤٧/١١) (Ibn Abi Shaybah, 2008, 11/47).

د ــ ضمان خصوصيات الآخرين المختلفين واحترام شرائع أديانهم ومنحهم حرية التعبد بها ، ومن أمثلة ذلك : " أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي (ع) يسأله عن الرجل يزني بالمرأة اليهودية والنصرانية ، فكتب (ع) إليه : إن كان محصنا فارجمه ، وإن كان بكرا فاجلدوه مائة جلدة ثم انفه ، وأما اليهودية فابعث بها إلى أهل ملتها

فليفعلوا بها ما أحبوا " (الطوسي ، ١٣٨٠ هـ ش ، ٢٥٦/٤) (Al-Tusi, 1380 A.H., 4/256) ، ومنها حرية الآخرين في ممارسة ما هو حلال في شريعتهم وإن كان محرما في الشريعة الإسلامية شريطة عدم التجاهر بها واحترام النظام الإسلامي العام ، وبذلك فقد ألزم الإمام أمير المؤمنين (ع) أتباعه بل والأمة جميعا في كل عصر ومصر باحترام خصوصيات الآخر الذاتية كائنا من يكون ومهما كانت ، والسماح له بممارستها وفق طقوسه وعاداته وتقاليده وثقافته بحرية تامة .

هـ ــ احترام كرامة الآخرين وملكيتهم ، ومن ذلك : إنصاف الإمام (ع) معتنقي الأديان الأخرى عندما شكوا إليه أحد الولاة ، ومنه أيضا : أنه عندما مر (ع) في طريقه ببعض الذين يدفعون الجزية " فلما استقبلوه نزلوا ثم جاءوا يشتدون معه ، قال الإمام (ع) ما هذه الدواب التي معكم ؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم ؟ قالوا : أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء ، وأما هذه البراذين فهدية لك ، وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاما ، وهيأنا لدوابكم علفا كثيرا ، قال (ع) : أما هذا الذي زعمتم أنه خلق منكم تعظمون به الأمراء فو الله ما ينفع هذا الأمراء ، وأنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم فلا تعودوا له ، وأما دوابكم هذه فان أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم ، وأما طعامكم الذي صنعتم لنا فانا نكره أن نأكل من أموالكم شيئا إلا بثمن" (المنقري ، ١٣٨٢ هـ ، ص١٤٤) (Al-Manqari, 1382 AH, p. 144).

٣ ــ التقريب بين معتنقي الأديان المتعددة والمذاهب المختلفة : وتجلى ذلك بإطلاق الإمام أمير المؤمنين (ع) الحوار الهادف البناء مع الآخر لغرض تقريب الأفكار ، بتأسيس قاعدة فكرية للتعايش الإنساني ، بتعزيز المشتركات ، وتفهم الخلافيات ، ودفع الشبهات ، ومناقشة الأفكار ، وتمحيص الأدلة ، وتدبر البراهين ، وبعد تهيئة جميع مستلزمات ذلك الحوار الفكرية بما فيها مساعدة المتحاورين على الحوار ودعمهم وشد أزرهم ، سعيا إلى إنجاح الحوار ، وقطف ثماره في واقع الحياة .

وقد زخرت الكتب بعشرات الشواهد والأمثلة على محاورات الإمام (ع) مع معتنقي الأديان المتعددة والمذاهب المختلفة والقائلين بالأفكار والفلسفات المتباينة .

٤ ــ تحكيم القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة : حيث مارس الإمام أمير المؤمنين (ع) عمليا التعايش مع الآخر المختلف دينيا ومذهبيا وعرقيا على أساس القيم النبيلة ومكارم الأخلاق ومبدأ الإحسان ، وكان يوصي أتباعه بتطبيق ذلك فعليا في واقع الحياة ، فمن وصاياه (ع) : " وَلاَ يَكُونَنَّ الْـمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَة سَوَاء، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ ، تَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ ، وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ " (عهد الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر ، ٢٠١٠ ، ص١٨) (Covenant of al'imam Ali to malik al'ashtur, 2010, p.18) .

وفي سيرة الإمام (ع) العملية في حال رفض الآخر التعايش معه ونفرته منه كما في حال الخوارج الذين كفّروه وقتلوه ، أن قابل الإمام (ع) ذلك بـــ " الصفح الجميل " و " العفو " و " الهجر الجميل " .

٥ ــ دمج الآخر المختلف في المجتمع : وتحقق ذلك فعليا بتنفيذ الإمام أمير المؤمنين (ع) برنامجا عمليا لدمج الآخر كائنا من يكون في المجتمع مع ضرورة الالتزام بالنظام العام ومبادئ العيش الكريم واحترام خصوصيات الجميع وفق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء ، وسعيه (ع) بكل الوسائل المتاحة لديه ليتآلف الناس ويتعايشوا على أساس مبدأ " العدالة الاجتماعية " و " تكافؤ الفرص " و " ضوابط الحقوق والواجبات " و " المساواة التامة " ، ومن الشواهد على ذلك سعيه الحثيث على دمج أهل الكتاب في المجتمع ، كما أنه (ع) بذل جهودا جبارة من أجل إعادة دمج الخوارج في المجتمع .

٦ ــ تقاسم الرفاه الاقتصادي : عمل الإمام أمير المؤمنين (ع) على تحقيق الرفاه الاقتصادي والأمن الغذائي لجميع الناس مهما كانت أديانهم ومذاهبهم وأعراقهم ، وسعى جاهدا لسد حاجات الناس الضرورية بلا تمييز ودون تفضيل ، ولتحقيق العدالة في توزيع الموارد الاقتصادية على الجميع ، وفق مبدأ المساواة رغم معارضة الكثير من المتنفذين والزعماء الذين رفضوا مساواتهم مع سائر الناس ، وعبر عن منهجه هذا خطبه وأقواله ، منها قوله (ع) : " فانتم عباد الله ، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل فيه لأحد على أحد " (الريشهري ، ١٤٢٥ هـ ، ٩ / ٣٩٦٧) (Al-Rishari, 1425 AH, 9/ 3967) ، مبينا أن المال مال الله تعالى والخلق عيال الله عز وجل بقوله (ع) : " لَوْ كَانَ الْمَالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ لَهُمْ " (نهج البلاغة ، ب ت ، ٢ / ٧) (Nahj albalagha, n.d., 2/7) ، ومما يجدر ذكره أن ذلك من عوامل تحقيق التعايش الإنساني فعليا بين الجميع .

٧ ــ سيادة التشريع والقانون : في مشروعه (ع) تطبيق عملي لسيادة التشريع الإلهي وقانون الدولة على الجميع بلا استثناء ، والمساواة أمام العدالة دون تمييز ، فأسس (ع)

لـ " استقامة العدل في البلاد " ، دون تدخل من أحد كائنا من يكون ، ولا حصانة لأحد مهما كان ، فالجميع حكاما ومحكومين تحت سلطة القضاء ، والكل في موضع المساءلة والمحاسبة والجزاء .

خاتمة البحث (النتائج والتوصيات) :

نستنتج من مطالب البحث أهمية مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع)

التكاملي للتعايش الإنساني بين معتنقي الأديان والمذاهب ، وضرورة الإفادة منه في واقع حياتنا لتتحقق المصلحة العامة للجميع ، وامتثال تكليف الجميع لأن التعايش الإنساني واجب شرعي وعقلي معا ، وتوصلنا إلى نتائج وتوصيات وكما يأتي :

النتائج :

أولا ــ من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام وضع الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مشروعا تكامليا للتعايش الإنساني بين معتنقي الأديان والمذاهب جميعا ، وفي هذا دليل عملي واقعي على شمولية الإسلام الحنيف وتلبيته متطلبات الإنسان في كل زمان ومكان .

ثانيا ــ إن مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) مشروع توحيدي تكاملي شمولي تبناه نظريا فنظّره ، وعمليا فطبقه شخصيا في أي موقع كان ، سواء على رأس هرم الخلافة أم استشاريا لها أم معارضا .

ثالثا ــ إن مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) مشروع إصلاحي يحقق الأمن والأمان للجميع (المؤتلف المختلف دينيا ومذهبيا من معتنقي الأديان والمذاهب المختلفة) ، مع ضمان حقوقهم جميعا فيرسخ تعايشهم حضاريا وتآخيهم إنسانيا .

رابعا ــ السلطة في مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) أداة من أدوات الإصلاح الاجتماعي والتعايش الإنساني بين الجميع ، وبخلاف ذلك لا قيمة لها .

خامسا ــ إن مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) للتعايش الإنساني بين الجميع يضمن الاعتراف بوجود الآخر والعيش معه على وفق مبدأين إسلاميين أصيلين ، هما (مبدأ وحدة النوع الإنساني ، ومبدأ الكرامة الإنسانية) ، ويلزم منهما مبدأ إسلامي إنساني شمولي ، وهو مبدأ العدالة الاجتماعية الكاملة التامة لجميع بني البشر .

سادسا ــ نهض الإمام أمير المؤمنين (ع) بمشروعه هذا ببعديه التنظيري والتطبيقي رغم معاناته الصعاب والمحن وقساوة الظروف المحيطة به .

أما البعد التنظيري في مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) فتجلى بوضعه (ع) منهجا علميا بيّنا واضحا للتعايش الإنساني بين جميع الناس من معتنقي الأديان المتعددة والمذاهب المختلفة ، والمنحدرين من أعراق متباعدة ، أبرز معالمه :

١ ــ التثقيف بضرورة الاعتراف بوجود الآخر المختلف دينيا وعرقيا وثقافيا واجتماعيا باعتبار أن الاختلاف حقيقة واقعة وسنة كونية لا يمكن إنكارها ولا يصح القفز فوقها ولا تجوز مصادرتها ، مما يحتم الالتزام بضوابط تنظيم الاختلاف بين الجميع .

٢ ــ التلاقح العلمي بين تراث الأمم والشعوب المختلفة ، والإفادة من المنتج المعرفي للآخر المختلف دينيا ومذهبيا وعرقيا وفق الضوابط الموضوعية والمنهج العلمي .

٣ ــ التنظير الصحيح للتعامل بين مكونات التعددية تعاملا موضوعيا إنسانيا بتأصيله (ع) للقاعدة الذهبية في التعايش الإنساني بين جميع الناس من معتنقي الأديان والمذاهب ومن جميع الأمم والشعوب بقوله : (الناس صنفان إما أخ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق) .

٤ ــ اللطف بالآخر المختلف دينيا ومذهبيا وعرقيا وفق مبدأ " الإحسان إلى الغير " ، وتمتع الناس جميعا بحقوقهم كاملة غير منقوصة باعتبارها هبة إلهية مقدسة .

٥ ــ أن الحوار الإيجابي آلية التفاهم مع الآخر المختلف دينيا ومذهبيا وفكريا ، على أساس الإقرار بوجود مشترك إنساني في مجالات الحوار ، ووفق المنهج الموضوعي الذي لا بد من الالتزام به في التحاور البنّاء .

٦ ــ ضمان الحرية الفكرية وحرية الرأي والتعبير لجميع الناس سواء كانوا من أتباع الأديان والمذاهب المختلفة ، أم من أبناء الأمم والأعراق المتعددة ، أم من معتنقي الأفكار والفلسفات المتباينة ، بل حتى لأعدائه ومحاربيه ومكفريه ، دون قمع أو تضييق أو فرض رؤى وقناعات .

٧ ــ ممارسة النقد العلمي الموضوعي ومراجعة قناعات الذات ، ووجوب النظر والاستدلال ، في قضايا العقيدة والدين والفكر ، ومسائل المعرفة ، وقضايا الثقافة ، وقبول النقد العلمي من الآخر المختلف بحرية تامة .

٨ ــ تحريم وتجريم خطاب الكراهية لمنافاته مبادئ الدين الحنيف ، ومواجهة التطرف بجميع صوره وأصنافه ومجالاته لتعارضه مع ثوابت الوحي الإلهي .

٩ ــ التنظير للمنهج العلمي والتربوي للتخلص من جميع معوقات التعايش الإنساني مع الآخر المختلف دينيا ومذهبيا وفكريا وعرقيا بما فيها العقد النفسية الضيقة ، وإصلاح ذات الفرد وتحقيق التماسك الاجتماعي .

وأما البعد التطبيقي في هذا المشروع فتحقق بتنفيذ الإمام (ع) منهج التعايش الإنساني بين جميع الناس من معتنقي الأديان المتعددة والمذاهب المختلفة ، والمنحدرين من أعراق متباعدة ، تنفيذا عمليا في واقع الحياة ، وأبرز خطواته :

١ ــ كان الإمام (ع) أول من طبق هذا المشروع شخصيا في كل موقف وواقعة ومناسبة وليكون قدوة لأتباعه وللناس أجمعين ، وقد أفاض على الآخر بغض النظر عن انتمائه ودينه ومذهبه وعرقه ولونه وثقافته ومواقفه بالحب والرحمة واللطف والعدل والإنصاف .

٢ ــ أوجد الإمام (ع) حلولا عملية ناجعة لمعوقات التعايش الإنساني النفسية كالتعصب والغرور ، حينما وضع برنامجا عمليا تطبيقيا لتدريب تابعيه على التخلص من تلك المعوقات انطلاقا من الذات بتنمية المهارات التربوية .

٣ ــ نشر الإمام (ع) في مجتمعه وفي ذهنية الأمة بجميع أجيالها ثقافة حتمية التعايش الإنساني مع الآخر المختلف دينيا ومذهبيا من معتنقي الأديان والمذاهب المختلفة ، ومن معالم هذه الثقافة : (احترام الأديان السماوية ، والتفسير الإيجابي لعقائد الآخرين المختلفين ، ومنح الآخر المختلف عقديا حرية الإيمان والمعتقد ، وضمان خصوصيات الآخرين المختلفين واحترام شرائع أديانهم ومنحهم حرية التعبد بها ، واحترام كرامة الآخرين وملكيتهم) .

٤ ــ التقريب بين معتنقي الأديان المتعددة ، والمذاهب المختلفة الأفكار ، بتأسيس قاعدة فكرية للتعايش الإنساني ، بتعزيز المشتركات ، وتفهم الخلافيات ، ودفع الشبهات ، ومناقشة الأفكار ، وتمحيص الأدلة ، وتدبر البراهين .

٥ ــ ممارسة الإمام (ع) التعايش مع الآخر المختلف دينيا ومذهبيا وعرقيا عمليا ، على أساس القيم النبيلة ، ومكارم الأخلاق ، ومبدأ الإحسان .

٦ ــ تنفيذ الإمام (ع) برنامجا عمليا لدمج الآخر كائنا من يكون في المجتمع مع ضرورة الالتزام بالنظام العام ومبادئ العيش الكريم واحترام خصوصيات الجميع وفق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء ، ليتآلف الناس ويتعايشوا على أساس مبدأ " العدالة الاجتماعية " ، و " تكافؤ الفرص " ، و " ضوابط الحقوق والواجبات " ، و " المساواة التامة " .

٧ ــ تحقيق الرفاه الاقتصادي والأمن الغذائي لجميع الناس مهما كانت أديانهم ومذاهبهم وأعراقهم ، وسد حاجاتهم الضرورية بلا تمييز ودون تفضيل ، وتحقيق العدالة بينهم في توزيع الموارد الاقتصادية .

٨ ــ التطبيق عملي لسيادة التشريع الإلهي ، ومساواة الجميع بلا استثناء أمام العدالة دون تمييز ، ، ودون تدخل من أحد كائنا من يكون ، ولا حصانة لأحد مهما كان ، فالجميع حكاما ومحكومين تحت سلطة القضاء ، والكل في موضع المساءلة والمحاسبة والجزاء .

التوصيات :

أخلص من البحث هذا بتوصيتين أضعهما أمام أنظار الجميع:

الأولى : أن تتولى الجامعات والمعاهد العلمية والمراكز البحثية دراسة وتحليل مشروع الإمام أمير المؤمنين (ع) التكاملي للتعايش الإنساني بين معتنقي الأديان والمذاهب ، ووضع البرامج والخطط الكفيلة بالإفادة منه في واقع حياتنا ، ولنشر الألفة والمحبة والسلام تحقيقا للتعايش الإنساني بين جميع الأطياف والمكونات والانتماءات والأعراق .

الثانية : إيجاد نخبة من علماء العراق ومفكريه وأساتيذ الجامعات تتحمل مسؤولياتها في التثقيف بهذا المشروع الريادي ، ووضعه أمام أنظار أصحاب القرار في بلدنا ، وتوعية الجميع بمضامينه ليتسنى تفهمه والعمل الجماعي على تطبيقه فعليا كل من موقعه وعلى قدر طاقته ووفق مسؤوليته .

قائمة المصادر والمراجع :

ـــــ الإمام أمير المؤمنين (ع) ، (١٩٩٩) ، ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، (ط١) ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي .

ـــــ الإمام أمير المؤمنين (ع) ، (٢٠١٠) ، عهد الإمام علي بن أبي طالب (ع) إلى مالك الأشتر ، (ط١) ، النجف الأشرف ، العتبة العلوية المقدسة .

ـــــــ الإمام أمير المؤمنين (ع) ، (ب . ت) ، نهج البلاغة (وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) ، بيروت ، دار المعرفة .

ـــــ الآمدي ، عبد الواحد بن محمد التميمي ، (١٩٩٢) ، غرر الحكم ودرر الكلم ، (ط١) ، بيروت ، دار الهادي .

ـــــ ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد العبسي ، (٢٠٠٨) ، المصنف ، (ط١) ، القاهرة ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر .

ـــــ ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، (١٩٧٣) ، كتاب الثقات ، (ط١) ، حيدر آباد الدكن ــ الهند ، دائرة المعارف العثمانية .

ـــــ ابن شعبة الحراني ، الحسن بن علي بن الحسين الحلبي ، (١٤٠٤ه) ، تحف العقول عن آل الرسول (ص) ، (ط٢) ، قم ، مؤسسة النشر الإسلامي .

ـــــ الثقفي ، إبراهيم بن محمد الكوفي ، (١٣٩٥ه) ، الغارات ، (ط١) ، طهران ، انجمن آثار ملي.

ـــــــــ الترمذي ، محمد بن عيسى ، (١٩٦٦) ، الجامع الكبير ، (ط١) ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي

ـــــــــ الريشهري ، محمد ، (١٤٢٥ه) ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ ، (ط٢) ، قم ، دار الحديث للطباعة والنشر .

ـــــــــ السلمان ، عبد العزيز بن محمد ، (١٤٢٤ه) ، موارد الظمآن لدروس الزمان ، (ط٣٠) ، الرياض .

ـــــ الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، (٢٠١٤) ، معاني الأخبار ، (ط١) ، كربلاء المقدسة ، العتبة الحسينية المقدسة .

ـــــ الصفار ، محمد بن الحسن بن فروخ ، (٢٠١٠) ، بصائر الدرجات ، (ط١) ، بيروت ، الأعلمي للمطبوعات .

ـــــ الطبري ، محمد بن جرير ، (ب . ت) ، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، ، (ط٢) ، القاهرة ، دار المعارف بمصر .

ـــــ الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي (١٣٨٠ هـ ش) ، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار ، (ط١) ، قم ، دار الحديث للطباعة والنشر.

ـــــ العاصمي ، أحمد بن محمد بن علي ، (١٤١٨ه) ، العسل المصفى من تهذيب زين الفتى في شرح سورة هل أتى ، (ط١) ، قم ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

ـــــ المتقي الهندي ، علاء الدين بن حسام الدين البرهان فوري ، (١٩٨٥) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، (ط ٥) ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

ـــــ المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي ، (١٩٨٣) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، (ط٢) ، بيروت ، مؤسسة الوفاء.

ـــــ المنقري ، نصر بن مزاحم ، (١٣٨٢ه) ، وقعة صفين ، (ط٢) ، القاهرة ، المؤسسة العربية الحديثة .

ـــــ النوري ، حسين بن محمد تقي ، (١٩٨٨) ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، (ط٢) ، بيروت ، مؤسسة آل البيت.

ـــــ الواسطي ، علي بن محمد الليثي ، (١٣٧٦ه ش) ، عيون الحكم والمواعظ ، (ط١) ، قم ، دار الحديث .

References :

- AL-Imam, 'amir almuminin (PBUH), (1999), Diwan of the 'amir almuminin, Imam Ali bin Abi Talib (PBUH), (1st edition), Beirut, Al-Alami Foundation.

- AL-Imam, 'amir almuminin (PBUH), (2010), Covenant of Caliph Imam Ali bin Abi Talib (PBUH) to his Alderman of Egypt the Companion Malik Al-Ashtar, (1st edition), Al-Najaf al-Ashraf, the upper holy shrine.

- AL-Imam, 'amir almuminin (PBUH), (n.d.), Nahj albalagha, (which is the sum of what was chosen by Sharif Al-Radhi from the words of our master, the , 'amir almuminin, Ali bin Abi Talib, (PBUH)), Beirut, the House of Knowledge.

- Al-Amadi, Abd al-Wahid bin Muhammad al-Tamimi, (1992), Deceit of Judgment and Durar al-Kalam(1st edition), Beirut, Dar al-Hadi.

- Ibn Abi Shaybah, Abdullah bin Muhammad Al-Absi, (2008), Al-Musannaf, (1st edition), Cairo, Al-Faruq Al-Haditha for Printing and Publishing.

- Ibn Hibban, Muhammad bin Hibban bin Ahmed al-Tamimi al-Busti, (1973), Kitab al-Thuqat, (1st edition), Hyderabad Deccan, India, Ottoman Encyclopedia.

- Ibn shueba Al-Harrani, Al-Hassan bin Ali bin Al-Hussein Al-Halabi, (1404 AH), tahifu aleuqul ean al alrasul (PBUH), (2nd edition), Qom, Islamic Publishing Foundation

- Al-Thaqafi, Ibrahim bin Muhammad al-Kufi, (1395 AH), algharat, (1st edition), Tehran, and they have been destroyed by the effects of Milli.

- Al-Tirmidhi, Muhammad bin Isa, (1966), aljamie alkabir, (1st edition), Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami.

- Al-Rishari, Muhammad, (1425 AH), Encyclopedia of Imam Ali bin Abi Talib (PBUH, (2nd edition), Qom, Dar Al-Hadith for Printing and Publishing.

- Al- Salman, Abdul Aziz bin Muhammad, (1424 AH), mawarid alzaman lidurus alzamman , (30 st edition), Riyadh.

- Al- Saduq, Muhammad bin Ali bin al-Husayn ibn Babawi, (2014), Ma`ani al-Akhbar, (1st edition), Karbala Holy, Husaynah Holy Shrine.

- Al-Saffar, Muhammad ibn al-Hasan ibn Farrukh, (2010), basayir aldarajat , (1st edition), Beirut, Al-Alami for Publications.

- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, (n.d.), tarikh altubri (tarikh alrusul walmuluk) , (2nd edition), Cairo, Dar Al-Maarif, Egypt.

- Al-Tusi, Muhammad bin Al-Hassan bin Ali (1380 AH), alaistibsar fima 'akhtalif min al'akhbar , (1st edition), Qom, Dar Al-Hadith for Printing and Publishing.

- Al-Asimi, Ahmad bin Muhammad bin Ali, (1418 AH), aleasl almasafaa min tahdhib zayn alfataa fi sharah surat hal 'ataa ,(1st edition), Qom, the Islamic Cultural Revival Complex.

- Al-Mottaki Al-Hindi, Ala Al-Din Bin Hussam Al-Din Al-Burhan Furi, (1985), kanz aleummal fi sunan al'aqwal wal'afeal , (5th edition), Beirut, Al-Risala Foundation.

- Al-Majlisy, Muhammad Baqir bin Muhammad Taqi, (1983), Bahar al-Anwar al-Jami`a to lidarar 'akhbar al'ayimat al'athar , (2nd edition), Beirut, Al-Wafa Foundation.

- Al-Manqari, Nasr bin Muzahim, (1382 AH), waqeat safin , (2nd floor), Cairo, the Modern Arab Institution.

- Al-Nouri, Hussein bin Muhammed Taqi, (1988), mustadrik alwasayil wamustanbit almasayil , (2nd edition), Beirut, Aal Al-Bayt Foundation.

Al-Wasiti, Ali bin Muhammad Al-Laithi, (1376 A.H.), Ayoun Al-Hakam walmawaeiz , (1st edition), Qom, Dar Al-Hadith.